

## لولا العراق ولبنان...

خير الله خير الله  
إعلامي لبناني

خلفه أنه يخوض حرباً مع الإرهاب من جهة أخرى.

في اليمن، لا وجود لأي أمل باي انفراج سياسي ما دام الحوثيون يسيطرون على صنعاء والمناطق المحيطة بها وعلى ميناء الحديدة الإستراتيجي. لا يريد الحوثيون، وهم ميليشيا مذهبية أخرى تابعة لإيران، سوى اقتطاع جزء من الأرض اليمنية وتحويلها قاعدة تابعة لـ"الجمهورية الإسلامية". حاولوا في البداية وضع اليد على كل اليمن، لكن وجد من يخرجهم من عدن ثم من ميناء المخا الإستراتيجي.

تكتشفت أخيراً طبيعة العلاقة العميقة التي تربط بين الحوثيين (انصار الله) وجماعة الإخوان المسلمين الذين باتوا يسيطرون كلياً على حزب التجمع اليمني للإصلاح الذي هو جزء من "الشرعية" في اليمن.

حصل تبادل للأسرى والسجناء بين الجانبين. شملت العملية المعتقلين المتهمين بجريمة مسجد دار الرئاسة في الثالث من حزيران - يونيو 2011، وهي جريمة "إرهابية" حسب قرار مجلس الأمن، استهدفت قتل علي عبدالله صالح والمحيطين به دفعة واحدة. إذ دلت عملية تبادل السجناء والأسرى

هذه بين الجانبين على شيء، فهي تدل على أن لا شيء يقف في وجه الميليشيات التابعة لإيران من أجل المحافظة على مواقعها، وذلك بغض النظر عن هوية الطرف الآخر الذي تتعامل معه أو تجد نفسها مضطرة لعقد صفقات معه.

هذا عصر الميليشيات الإيرانية التي تتقدم في كل مكان، ولا تجد من يردعها باستثناء الشعبين العراقي واللبناني. هل هذه الميليشيات قدر لا حول ولا قوة أمامه؟

هناك استسلام أمام هذه الميليشيات في سوريا، وذلك بعدما أخذ الروس والأتراك ما يريدون وبعدها نجحت إيران في السيطرة على مناطق معينة وتمددت في اتجاه مناطق أخرى، بما في ذلك محيط حلب. أما إسرائيل، فهي راضية عما يجري بعد حصولها على ضمانات روسية وبعد تكريس احتلالها لهضبة الجولان المحتلة منذ العام 1967.

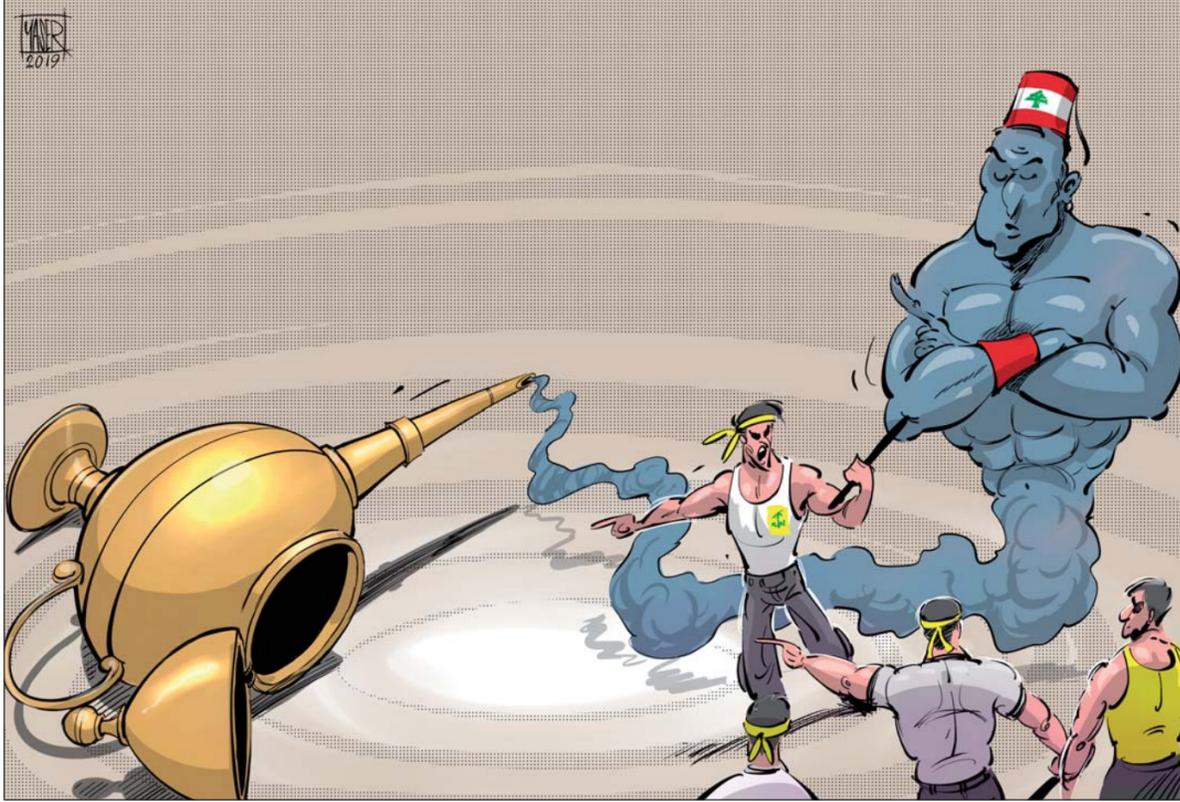
كذلك هناك استسلام أمام الإرادة الإيرانية في اليمن. لم يطرأ أي تغيير على خطوط القتال منذ فترة طويلة في اليمن. اللهم إلا إذا حصل تطور مهم في المدى المنظور على الوضع في الحديدة. وهذا الأمر وارد في حال توافرت قناة عربية ودولية بأن شينا لن يتغير في حال بقاء وضع الحديدة على ما هو عليه، أي أن يبقى الميناء والمدينة تحت سيطرة "انصار الله" وإيران.

يبقى لبنان والعراق. ليس سرا أن الجميع في مازق في لبنان. لكن أهمية الثورة الشعبية التي يشهدها الوطن الصغير تكمن في وجود وعي لدى كل الطوائف اللبنانية لواقع يتمثل في رفض هيمنة "حزب الله" على الحكومة ومجلس النواب. وهذه هيمنة تمارس عن طريق غطاء مسيحي للحزب. مثل هذا الغطاء لم يكن ليحصل عليه من يوم من الأيام لولا العهد الحالي... ولولا وجود شخص مثل جبران باسيل في الحكومة، وهو شخص يبدو مستعداً للذهاب إلى دمشق إرضاء لما يريده "حزب الله"، علماً أن الطفل يعرف أن النظام السوري لا يريد إعادة أي سوري من الذين لجأوا إلى لبنان هرباً من بطشه. لا يريد ذلك خصوصاً أن معظم هؤلاء من أهل السنة ومن مناطق غير بعيدة عن دمشق وعن الحدود مع لبنان لدى إيران مطامع فيها.

أما العراق، فيبدو أن مستقبل المنطقة سيرسم من خلاله. منه بدأ الزلزال في العام 2003 ومنه تبيّن أن الشيعة العرب من أبناء البلد ليسوا على استعداد للرضوخ نهائياً للاحتلال الإيراني وذلك بغض النظر عن السياسة الأمريكية المتقلبة والمتذبذبة لشخص مثل دونالد ترامب.

هل قالت الميليشيات الإيرانية كلمتها الأخيرة في المنطقة؟ كان يمكن الإجابة بنعم عن هذا السؤال لولا العراق ولبنان. من حسن الحظ، أنه لا يزال في البلدين من لا يزال يقاوم المقاومة تضم على وجه الخصوص شيعة العراق وشيعة لبنان...

هل قالت الميليشيات الإيرانية كلمتها الأخيرة في المنطقة؟ كان يمكن الإجابة بنعم عن هذا السؤال لولا العراق ولبنان. من حسن الحظ، أنه لا يزال في البلدين من لا يزال يقاوم المقاومة تضم على وجه الخصوص شيعة العراق وشيعة لبنان...

اللحظة الشيعية الكبرى..  
«العودة إلى حضن الوطن»محمد قवास  
صحافي وكاتب سياسي  
لبناني

قبل سنوات كان السجال حاداً بين القوى السياسية حول قانون الانتخابات الأتبع في لبنان. لم تكن الطبقة السياسية تبحث عن القانون الأفضل الذي بإمكانه أن يكون صادقا في تمثيل اللبنانيين، بل عن القانون الذي يعيد إنتاج الطبقة السياسية نفسها، أو الذي يتيح تضيق هامش خسائرها. حينها خرج الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله منتشياً بأن لا مشكلة لحزبه مع أي قانون يتوافق الآخرون عليه. وفي ذلك أن نصرالله كان متأكداً من التبعية التامة للطائفة الشيعية لـ"خيار المقاومة" في البلاد.

قبل ذلك بسنوات، وبعيد اغتيال الراحل رفيق الحريري، خرج مناصرون لحزب الله بقطع الطرقات احتجاجاً على برنامج تلفزيوني فكاهي لبناني قيل إن نكاته مست بشخص زعيم حزب الله. خرج مؤلف البرنامج، وهو القريب من التيار العوني المتحالف مع حزب الله، مستغنياً ردة فعل جمهور الحزب، معتزلاً عن أي سفاهات غير مقصودة يمكن أن تكون فهمت خطأ. في تلك المناسبة خرج أحد نواب حزب الله معللاً غضب الناس بأن ثقافة الشيعة في البلد تختلف عن ثقافة بقية المكونات اللبنانية، وبالتالي على الجميع مراعاة الأمر وتفهم المزاج المختلف للناس.

قبل أيام، السبت الماضي، خرج نصرالله متوعداً الحراك الشعبي اللبناني بحراك مضاد يقوده حزب الله. ذكر الرجل أن جمهور الحزب إذا خرج فلن يخرج لبضعة أيام (متهمكاً على ما اعتقد عرضياً في حراك اللبنانيين)، بل لا عودة قبل تحقيق الأهداف. وفي ذلك تأكيد آخر أن شيعة لبنان تابعون للحزب وزعيمه في الذهاب وفي الإياب.

في الأيام الأخيرة حصل ما فاجأ حزب الله. الشيعة ليسوا أتباعاً. وهم وإن رضوا بالاتصاق بـ"المقاومة"، حين كانت مقاومة، وسكتوا عن خيارات هذه "المقاومة" في حربها في سوريا، وكتماوا رد فعلهم في تمارين الحزب لجزء البلد باتجاه الأجنحة الإيرانية وإبعاد البلد عن بيئته العربية، فإنهم في الحراك الذي اندلع قبل أكثر من أسبوع، اجتازوا لحظة تاريخية بدهم "إلى حضن الوطن"، وفق التعبيرات التي تستخدمها، للمفارقة دمشق ودون أي مقارنة، في وصف العائدين إلى أحضانها. تقدم الشيعة في لبنان داخل الحراك اللبناني الشامل مناقضين بذلك نظرية حزب الله حول اختلاف ثقافة الشيعة عن ثقافة اللبنانيين. تقدم

الشيعة هذه المرة ليس بصفتهم طائفة، وليس بصفتهم "جمهور مقاومة"، بل بصفتهم مواطنين لبنانيين يحملون الهوية اللبنانية ويمارسون لبنانيتهم كاملة، شأنهم في ذلك شأن بقية اللبنانيين الذين خرجوا إلى الشوارع معترضين ثائرين.

نعم فقد حزب الله حاضته الطبيعية. وسجحت الحزب ربما بحاضته حزبية متصدعة. لم يعد الشيعة في لبنان مستهلكين لبضاعة "المقاومة" ومناكفة "الشیطان الأكبر" و"الدود عن المراد في سوريا"، و"الدفاع عن المظلومية في اليمن"، و"نصرة" "المضطهدين" في البحرين والتبشير بالنتائج في المغرب والسودان... إلخ. أعاد الشيعة بعث المبررات اللبنانية في حركتهم، مهملين ما تراكم من قيم ومفردات وتوصيفات صدرتها ثورة الجمهورية الإسلامية في إيران.

لم يكن الشيعة يوماً جسداً منسجماً واحداً. كانت الطائفة متمردة في طبيعتها مخزطة في كل تيارات التمرد التي راجت في المنطقة منذ الاستقلال. كان الشيعة في صلب التيارات الماركسية والأحزاب القومية، العربية والسورية، كانوا جزءاً من المقاومة الفلسطينية التي عرفوها في مناطقهم، وكانوا جزءاً من تيارات قومية لبنانية لطالما دافعت عن فينيقية غابرة في هوية لبنان. شكّل القضاء الشيعي متنفساً لبقية الطوائف في لبنان الذي وجد لدى الشيعة براغماتية ووسطية وتسامحاً واعتدالاً حاضناً لبقية اللبنانيين.

كان ذلك قبل أن يظهر الإسلام السياسي الشيعي، وتنتامي أسواره بعد قيام ثورة الخميني في إيران. حدث أن ظهرت في مناطق الشيعة في بداية الثمانينات كائنات غريبة قيل يومها إنها تنتمي إلى الحرس الثوري. علم اللبنانيون بعد ذلك أن للحرس روافد لبنانية تخطف وتدمر وتهدد باسم الثورة في إيران، وأن وجوها وشخصيات شيعية لبنانية، باتت من خلال حزب الله، تسحب الشيعة إلى مكان آخر غير لبنان.

لم يكن شيعة لبنان يملكون خيارات بديلة. عملت سطوة النظام السوري في لبنان على فرض هيمنة المنطق المذهبي على ذلك الوطني العابر للطوائف. أطاحت الشيعة السياسية الحديثة بالمقاومة اللبنانية التي ظهرت بعد الاجتياح الإسرائيلي، بحيث يحرم على غير الشيعة ممارسة حقهم وواجبهم في الدفاع عن بلادهم ورد الاحتلال عنه، ثم بعد "حرب الأخوة" في الثمانينات بين حزب الله وحركة أمل، حرم على الشيعة أنفسهم غير المنتمين إلى حزب الله ذلك الحق وذلك الواجب. لم يصنع الشيعة في لبنان حزب، بل إن هذا الحزب هو الذي أمعن

في صناعة هيكل أدخل الطائفة داخله. حوصرت الطائفة من خلال كمشاة الثنائي الذي ترعى جناحه له دمشق وترعى جناحه الآخر طهران. صهر الشيعة وفق قواعد الفقه والعقيدة والوطنية والخوف، استسلموا للأمر الواقع "الإلهي"، كما استسلم بقية الفرقاء اللبنانيين لأمر حزب الله راعياً ووصياً على الشيعة في لبنان. لم يشهد لبنان في تاريخه خطأ استهدفت الشيعة في لبنان. كانوا جزءاً من طبيعة البلد ومنظومته السياسية في قوتها وهونها. لم يعرف الشيعة شعور الخوف أو الضعف وهم من نسج الشعب اللبناني في صراعاته مع السلطة أو في التماهي معها.

بيد أن حزب الله استطاع أن يقنع الشيعة بأن سقوط الحكم في طهران أو دمشق هو سقوط لهم، وأن الدفاع عن مناعة نظام الولي الفقيه وبقاء العالم هي حماية لهم.

قوام الشيعة ذلك المارد الذي بسطو على حضورهم وصادر مستقبلهم. أصقت بالوجوه المعترضة تهمة العمالة والتبعية للخارج، منهم من بات في خطاب الحزب "شيعة السفارة"، في غمز من ولائهم لأجنحة أميركية. بات الاعتراض السياسي على حزب سياسي يساوي العمالة التي لا رحمة في مواجهتها في "دولة حزب الله".

لا عجب أن يستسلم الشيعة لقدرهم في بلد استسلم فيه حتى خصوم الحزب اللبنانيين لهذا القدر. مشى الشيعة مع اللبنانيين في 14 مارس 2005 وكانوا جزءاً مؤسساً من حراك "14 آذار" السياسي، قبل أن يتخلل هذا الحراك عن شيعته، يهملهم لصالح تحالف مع الغائبة الشيعية بصفتها قدر الشيعة الأبدي.

يقلب الشيعة هذه الصفحة هذه الأيام. خرج سنة البلد بعد اغتيال رفيق الحريري يزحفون ولو متأخرين في انضمامهم لما كان يطالب به كثير من المسيحيين بخروج جيش الوصاية السورية من لبنان عام 2005. كان ذلك الزحف لحظة لبنانية نجحت في تعظيم خيار لبناني تاريخي لافت. يخرج الشيعة هذه الأيام ليمنحوا الحراك الحالي شرعية لبنانية شاملة لا لبس فيها ولا تشققات. يخرج الشيعة ليهزوا أركان دولة حزب الله برئيسها وحكومتها وبرلمانها.



**تقدم الشيعة في لبنان داخل المراك اللبناني الشامل مناقضين بذلك نظرية حزب الله حول اختلاف ثقافة الشيعة عن ثقافة اللبنانيين. تقدم الشيعة هذه المرة ليس بصفتهم طائفة، وليس بصفتهم «جمهور مقاومة»، بل بصفتهم مواطنين لبنانيين يمارسون لبنانيتهم كاملة**

